(٩) البرود الجنسى عند المرأة المسلمة

حديث شريف

« والذى نفسى بيده . . ما من رجل يدعو زوجته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى »

رواه مسلم والبخارى

« خير النساء الغلمة على زوجها العفيفة بفرجها »

البخارى

البرود الجنسى عند المرأة المسلمة

من خلال عملى منذ زمن بعيد كطبيب للأسرة المسلمة كانت تعرض على الكثير من حالات الخلاف وسوء التفاهم التى تهدد كيان الأسرة .

والكثير من هذه المشاكل إذا أهمل أو عولج بجهالة يؤدى إلى الطلاق وخاصة بين الشباب الحديث عهد الزواج .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن كلا الزوجين لا يستطيع البوح بصراحة بالأسباب الكامنة وراء هذا الخلاف أمام الأهل والأقارب الذين يرغبون فى الإصلاح والوفاق مما يجعلهم يتخبطون فى الظنون والحلول . . وربما كان طبيب الأسرة أقرب الناس إلى تفهم هذا الوضع وأقدرهم على التصدى للحل . وخلاصة المشكلة فى شكوى الزوج من أن زوجته مصابة بالبرود الجنسى والعاطفى فهى لاتظهر له من عواطفها وأنوثتها ودلالها ما يشعره بأنها تبادله حباً بحب . . وشوقاً بشوق . . أو أنه موضع محبة وإعزاز . . ثم تأتى المسألة الأهم . . فهو يشكو من أن زوجته لا تتجاوب معه جنسياً . . فإذا طلبها إلى فراشه تكاسلت أو ماطلت حتى يغلبه النوم . . وقد تخلق الأعذار الواهية مثل الكسل عن الغسل وبلل الشعر فى اليوم التالى أو التعب والإرهاق من أعمال النهار . . وقد تكون الحجة أو هى من ذلك . . مثل التعلل بحرارة الجو صيفاً أو برودة الطقس شتاء .

وحتى لو استجابت له وبادلته الفراش لعدم إغضابه فإنما تفعل ذلك بطريقة باردة فاترة وكأنما تؤدى واجباً مفروضاً .

ويضيف الكثير من الأزواج إلى ذلك عدم اهتمام الزوجة بأنوثتها وزينتها وملابسها سواء داخل البيت أو خارجه . . مما يجعله يزهد من الرغبة فيها والتطلع إليها .

وهذه الأمور كلها لها رد فعل قاسى على نفس الزوج ومعنوياته وخاصة إذا كان فى مرحلة الشباب ولا بد أن يشعر بجرح فى كبريائه ورجولته . . وتزداد هذه الحالة شدة إذا كان الزوج متديناً لا يريد أن يشعر بالفراغ الجنسى الذى يدفع غيره من الأزواج إلى التطلع إلى الحرام . . والنتيجة الحتمية أنه يفقد حبه لزوجته بالتدريج . .

وقد يقسو عليها أو يسبب لها المشاكل فى كل صغيرة وكبيرة وتصبح الحياه بينهما مستحيلة دون أن يكون هناك سبب ظاهر أو محدد . .

وقبل أن نبدأ فى ذكر الحل والعلاج يجب أن نسأل أنفسنا أولا .

لماذا تصاب المرأة المسلمة بالذات بالبرود : ؟

تكثر هذه الحالة فى الأسر المسلمة المتدينة والمحافظة . . حيث تربى الفتاة منذ الصغر تربية فيها التخويف من الجنس الآخر . . فمنذ طفولتها تمنع من اللعب مع الأولاد الآخرين . .

وتحذر من مكالمتهم أو ملاطفتهم . . حتى تنشأ وفى أعماقها عقدة الشك والخوف من الجنس الآخر . . وإذا كبرت منعت من الاختلاط البرىء بالشباب . أو التحدث معهم ولو كان رداً على سؤال عابر أو تحية بريئة . . ومن الآباء من يتمادى فى الحجر على بناته . . فإذا علم أنهن ينظرن من النافذة أغلق نوافذ البيت بالأخشاب والمسامير حتى لاينظرن إلى المارة . . وإذا خرج من البيت لنزهته أوعمله أغلق عليهن الأبواب بالمفاتيح . . وإذا سمح لهن بالتعليم والدراسة أصر على أن يكون التعليم نسائياً بحتاً وغير مختلط . . وحقيقة إن هذه العادات المتطرفة التى كانت سائدة حتى القرن التاسع عشر قد بدأت تنقرض مع ازدياد العلم والنور . . ولكن الأسرة المسلمة المتدينة مازالت تحرم شبابها من الاختلاط العفيف الذى يبيحه الإسلام ولا يحرمه . . وكثير من هؤلاء البنات لم تتكلم فى حياتها مع رجل أيا كان قبل زواجها سوى أبيها أو أخيها . . وكثير منهن يخاف من مجرد التفكير فى الحب . . أو النظر إلى الحبيب . . أو حتى أن تتصور شكل فتى الأحلام الذى تتمنى أن يكون لها زوجاً . . ورفيق العمر . وهذا بطبيعة الحال يجعلها تتحاشى مع الزمن مجرد التفكير فى الجنس كما يفكر الكائن الحى الطبيعى . . وهو ما يصيبها فى النهاية بالبرود العاطفى والجنسى .

السبب الثانى لهذا البرود هو انعدام التربية الجنسية فى الأسرة المسلمة والتعتيم على هذه القضية هرباً من مواجهتها . . وعدم وجود جو من المصارحة بين البنت وأمها .. وخوفها أن تشترى كتاباً علمياً فى الجنس لكى تقرأه وتثقف منه . . أن أن تسأل المدرسة أو المربية فى هذا الشأن . . وتكون النتيجة هى الجهل المطبق بشئون الجنس والنظر إليه كأنه طلاسم وألغاز . . وكثير من البنات المسلمات إذا تزوجت تظل مدة طويلة تصاب بالذعر والارتباك كلما اقترب منها زوجها . . ومنهن من تمضى عليها الشهور والسنوات وهى لا تعرف كيف تقضى حاجتها من الجماع . . ولا تشعر بأى لذة أو شهوة . .

والسبب الثالث للبرود الجنسى هو عادة ختان البنات التى مازالت بعض الأسر المسلمة تمارسها باسم الدين والدين منها براء . . فإن هذه العادة تقضى على كل ما تبقى للبنت من أنوثة . . أو تجاذب مع الزوج أو استمتاع فى الفراش ويجعلها أقرب إلى الآلة الصماء منها إلى الإنسان الحى ..

ما هو العلاج : —

كبداية نقول أن كل زوجين مسلمين يجب أن يعرفا جيداً أن هذه المشكلة حالة مؤقته وليست عاهة مستديمة ولا مرضاً مزمناً . . وأن علاجها يمكن فى أمرين هامين

أولهما : التوعية الجنسية وثانيهما : العلاج بالزمن .

ولوكان العلاج بالبتر والطلاق لهدمت جميع بيوت المسلمين لأن هذه المشكلة تمثل أكثر من ٩٠٪ من أسباب الخلاف فى الأسرة المسلمة .

وكثير من الأزواج الشباب يتصور أنه لو طلق زوجته وتزوج بأخرى فقد يتغير حظه وتكون الزوجة الجديدة أكثر استجابة لرغباته الجنسية وأكثر حرارة فى الفراش ولكنه سرعان ما يكتشف أنها قضية عامة فى أكثر النساء وأنها ليست حالة خاصة بزوجته دون غيرها من النساء وفى أغلب الأحيان يأتى هذا الاكتشاف بعد فوات الأوان وبعد أن يكون قد دمر زواجه الأول وحبه الأول . . وجرح مشاعر الزوجة الأولى وما أصدق قول الشاعر : —

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

يجب على كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يقرأ كتب التربية الجنسية بعناية ويدرسها دراسة جدية . . وبديهى أن تبدأ هذه الدراسة قبل الزواج بوقت كاف ولكن هذا لا يمنع أن تبدأ هذه الدراسة بعد الزواج أيضاً فلا يزال فى العمر متسع للدراسة مع التطبيق العملى على الحياة الزوجية . .

وبعد هذه المقدمة نقول إن الحلول تتوقف على ثلاثة

أطراف شركاء فى هذه القضية : الأهل . الزوج . الزوجة . .

أولا — الأهل وتربيتهم للبنت والولد : —

لقد شرحنا فى هذا الكتاب موقف الإسلام من قضية التربية الجنسية للفتى والفتاة . . وبينا خطر التعتيم والتجاهل وواجب البيت والمدرسة فى شرح قضايا الجنس بالتدريج بحيث تكتمل كل المعلومات قبل مرحلة المراهقة . كذلك شرحنا موقف الإسلام من قضية الاختلاط وبينا الفرق بينه وبين الخلوة وشرحنا أهمية الاختلاط النظيف الهادىء منذ الطفولة فى تهيئة الفتى والفتاة لحياة زوجية سليمة خالية من العقد وفى إتاحة الفرص لكل منهما لاختيار الزوج المناسب له . أيضاً بينا خطر عادة طهور البنات وإن كانت هذه العادة والحمد لله قد اختفت تقريباً فى الأسرة المتعلمة والمثقفة وبقيت فى بعض الأسر القليلة الحظ من الثقافة والتعليم . .

وهذا من ناحية التربية والتعليم . . وبقى واجب الأهل وخاصة الأبوين إذا ووجهوا بمشكلة مثل هذه لابنهم أو إبنتهم . . يجب أن تهتم الأم بالذات بمشكلة ابنتها والأب بمشكلة ابنه . . ويتكلمان بصراحة عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء خلافاتهما وعليهما أن يغوصا فى أعماق المشكلة ولا يكتفيان بالمسائل الصطحية التى لايغنى حلها عن الحل الجذرى للسبب الأساسى . وبديهى أن الحل سوف يكون بالتوعية أساساً . . ومن هنا يجب أن

يكون لدى الأبوين أيضاً وعى بمشاكل الشباب وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه . .

ثانيا — واجب الزوج :

كثير من الشباب فى عصرنا هذا يتأثر بالأفلام السينمائية ويتصور أن الزوجة المثالية ما يراه فى ممثلات السينما من حيث الأنوثة الرقيقة والعواطف الجياشة والاهتمام بزينتها وملبسها . . وهذا فى الواقع أكثره تمثيل فى تمثيل . . ولا يوجد إلا قلة من النساء التى تجمع بين مسئولية البيت وتربية الأولاد إلى جانب الوظيفة إذا كانت موظفة . . ثم تستطيع بعد ذلك أن تعطى زوجها كل ما يتمناه أو يتصوره من نفسها . . فيجب على الزوج أولا أن يضع جميع هذه الاعتبارات فى ذهنه حتى يعذر زوجته بعض العذر . . ولا يتصور أنها لا تحبه إذا قصرت فى إظهار عواطفها نحوه . . أو قصرت فى حقه فى فراش الزوجية . .

— وعليه أيضاً أن يفهم أن هناك فارق كبير بين . . الفتاة المتدينة التى تربت فى ظل الدين والعبادة منذ نعومة أظفارها وبين المرأة اللعوب التى جربت الرجال وتعرف كيف ترضى أى رجل .

— والشاب المسلم مطالب أكثر من الفتاة المسلمة بالقراءة والاطلاع على كتب التربية الجنسية باعتبار أن الفتاة أكثر

حياء وأقل جرأة على تداول هذه الموضوعات وإذا كان جاهلا بهذه الأمور فعليه أن لا يلوم زوجته على جهلها أو تقصيرها فالتقصير مشترك وإن كان اللوم على الرجل أكبر . .

— وقد ذكرنا فى هذا الكتاب واجبات الزوج المسلم نحو زوجته حتى يهيء لها حياة جنسية سليمة . . وقلنا أن عليه أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له وأن يلتزم بالتمهيد والمداعبة قبل المباضعة .

بل عليه أن يهيء الجو الشاعرى الهادىء كأن يخرج معها فى نزهة جميلة وجلسة شاعرية لأن هذا مما يهيء لها الرغبة فى مبادلته العواطف والمودة . ويجب أن يساعدها فى عمل البيت أو يعفيها من بعض مسئولياتها الأخرى حتى ترتاح نفسياً وجسدياً . . أما إذا كانت الزوجة موظفة فهذا وضع خاص يحتاج إلى معاملة خاصة . . فهى تعمل مثله . . وتتعب مثله . . وتشاركه فى التعاون على أعباء الحياة . . من هنا فعليه أن يكون شريكها أيضاً فى أعباء البيت . . وأن يدبر لها خادمة تساعدها . . المهم أن يعرف الزوج الشاب أن الإجهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب ضعف غريزة الجنس عند المرأة .

ثالثا — واجب الزوجة :

يجب أن تفهم المرأة المسلمة جيداً . . أن التدين لا يعنى القبح . . وإن الاحتشام لا يعنى الاسترجال . . وأن حسن العبادة لا تعنى فقدان الأنوثة . . لقد سمعت فتاة مسلمة تقول لزميلاتها أنها لا تحب أن تبدو جميلة حتى لاينظر إليها الرجال .

وسمعت أخرى تفخر أمام زميلاتها بأنها مثل الرجل فى الخشونة وجفاء الطبع لأنها تحب أن تكون جادة دائماً . . وأعرف كثيرات من النساء اللاتى اشتهرن بالتأنق والعناية بملبسهن وزينتهن . . ثم اقتنعن بالحجاب فإذا بهن يتحولن إلى الإهمال فى المظهر والملبس حتى أصبحت السيدة منهن لا تتميز عن الخدم والسوقة . .

ومن العبارات التى أصبحت شكوى عامة على لسان الكثير من الأزواج المسلمين قولهم (أنا متزوج عسكرى) وهذا التعبير الغريب يدلنا على أن الكثير من نساء المسلمين قد فهمن التدين فهما خاطئاً والتبست عليهن معانى الفضيلة والعفة والاحتشام بمعانى القبح والخشونة والاسترجال . .

فهل يا ترى نسين وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الميدان حيث يقول :

« إن الله جميل يحب الجمال » .

ويصف الزوجة المثالية بأنها التى تسره إذا نظر ويوصى المسلمين بالتزوج بالمرأة « الودود » أى التى تظهر المودة والملاطفة والأنوثة لزوجها بل يوصيهم بالمرأة (الغلمة) أى التى تشتهى الرجل وتحب المجامعة والعناق . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « خير نسائكم الغلمة على زوجها العفيفة بفرجها » .

(رواه البخارى)

والإسلام ينزل لعنته على المرأة المسترجلة فيقول « صلى الله عليه وسلم (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (متفق عليه) . وليس التشبه هنا قاصر على الزى وحده ولكنه أهم من هذا يتناول طبيعة المرأة وأنوثتها .

— يجب على المرأة المسلمة أن تعتنى بمظهرها وملبسها سواء فى البيت أو خارجه وإذا اختارت الحجاب فلتضع همها فى التأنق به والعناية بلبسه ولها أن تضع الزينة فى وجهها ويديها . . دون تبرج ولا اسراف . . ولكن أيضاً دون تقصير ولا إهمال . .

وأنوثة المرأة من أهم عناصر نجاح الحياة الزوجية . فالزوج لا يريد أن يتزوج امرأة مسترجلة بل يريد أن يشعر

دائماً بأنه موضع اهتمام زوجته ودلالها عليه ولهفتها على لقائه . فعلماء النفس يقولون إن الرجل طفل كبير . . وإذا حرم من العطف والتدليل من شريكة حياته انقلب إلى طفل مشاغب ومخرب .

أما المرأة الموظفة فعليها أن تختار الوظيفة التى لاترهقها كثيراً لأن الإجهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب فقدان المرأة لأنوثتها وشهوتها ويضعف رغبتها فى الجنس . . والحذر كل الحذار من الوظائف التى تستغرق معظم ساعات النهار مهما زاد راتبها لأن هذا يحطم الحياة الزوجية ويبعد الهوة بين الزوجين . وقضية عمل المرأة وساعات دوامها ليست قاصرة على المرأة المسلمة وحدها . . بل هى مشكلة عامة . . وفى أوروبا اليوم دعوة تطالب بتقليل ساعات العمل للمرأة ولوكان يتبع ذلك نقص فى أجرها وذلك حتى يتوفر لها الجهد والطاقة لزوجها وأولادها ، وكم نتمنى لو تتبنى الحكومات الإسلامية تشريعاً يجعل ساعات العمل للمرأة المسلمة لا تزيد عن ٤ ساعات بدلا من ٦ كل يوم وفى يقينى أن هذا لن يؤثر على سير العمل أو يقلل من الإنتاج .

كان هذا هو الجانب الأول من جوانب القضية .

بقى الجانب الأهم وهو البرود فى فراش الزوجية . .

وسوف اكتفى هنا برأى الإسلام وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وسلم) . .

فالإسلام يحرم على الزوجة تحريماً قاطعاً أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها إلى فراشه . وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه دفعاً إلى الكبت أو الشعور بالحرمان . وقد يدفعه ذلك إلى الزنا والتطلع إلى سواها . فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها . . ولذلك كان الإسلام حاسماً كل الحسم فى هذا الموقف إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها » .

(البخارى ومسلم)

ويقول أيضاً : « لعن الله المسوفات » قيل وما المسوفات يارسول الله قال « التى إذا دعاها زوجها إلى فراشه تقول سوف أحضر سوف أفعل حتى يغلبه النوم فتبيت والملائكة تلعنها » (رواه الطبرانى) ويقول أيضاً : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور » .

(رواه الترمذى وابن حيان والطبرانى)

— وقوله أيضاً « ثلاثة لا تقبل منهم صلاة ولا تصعد إلى السماء ولا تجاوز رؤوسهم : امرأة دعاها زوجها من

الليل فأبت عليه الحدث » .

(رواه ابن خزيمة)

وعن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لايحل لإمرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها : قالوا « وكيف تعرض نفسها على زوجها » .

قال : « تخلع ثيابها وتدخل معه فى لحافه فتلزق جلدها بجلده فإذا فعلت فقد عرضت» (اسناده لأحمد بن منيع — المطالب العالية جـ ٢) .

هذه هى تعاليم الإسلام إلى المرأة المسلمة حفاظاً على حياتها الزوجية وعلى محبة زوجها لها .